القول الصحيح

في

نزول عيسى

عليه السلام

وقتله الدجال

إعداد

محمد سعيد

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمدا ﷺ بعد ستمائة سنة من رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكانت فترة طويلة تحرفت فيها الأديان وكثرت عبادة الأوثان وظهر الفساد فى البر والبحر وانتشر الطغيان والظلم والجهل فى البادية والحضر، إلا قليلا من أحبار اليهود والنصارى والصابئين، فبعثه الله تبارك وتعالى للخلق كافة إنسهم وجنهم رحمة مهداة من لدنه سبحانه بين يدى الساعة وهادياً إلى الله بإذنه ومبشرا ونذيرا ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ وأيده تبارك وتعالى بكتابه الكريم، القرآن العظيم، المثبت لرسالته والمؤكد لنبوته .

وقد أيد الله تبارك وتعالى نبيه بمعجزات كثيرة وفى مقدمتها كلامه تبارك وتعالى وهو أشهر معجزات النبى ﷺ ومن وجوه إعجازه ما اشتمل عليه من أخبار الحوادث الماضية التى لم يكن يعلم تفصيلها سوى أفراد قلائل من أهل الكتاب، ولم يعلم مما ثبت من سيرته ﷺ أنه اجتمع بأحد منهم أو أخذ عنهم، هذا إلى جانب إخباره بما سيقع فوقع وفق ما أخبر به فى زمنه ﷺ وبعده مثل استحالة مجاراة القرآن ولو بسورة وغلب الروم وهزيمة المشركين فى بدر ودخول المسجد الحرام واستخلاف المؤمنين وعلو كلمة الإسلام وأهله .

روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه و نسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء ، و إنه ليكون

منه الشيء قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ نعى زيداً وجعفراً و ابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - و عيناه تذرفان - حتى أخذها سيف من سيوف الله - يعنى خالد بن الوليد رضى الله عنه - حتى فتح الله عليهم».

أما بعد :

منذ مطلع هذا القرن وجدت جماعة تدعو إلى التحرر الفكرى وتتصدر حركة الإصلاح الدينى وتعمل لإحياء المفاهيم الدينية الصحيحة فى نفوس المسلمين، ولكنهم فى سبيل ذلك أنكروا كثير من المغيبات التى وردت بها النصوص الصريحة المتواترة من الكتاب والسنة الأمر الذى يجعلها أمور من الدين بالضرورة ولا سند لهم فى هذا الإنكار إلا النزعة الفلسفية التى تقوم على تحكيم العقل فى أخبار الكتاب والسنة وعمت فتنتها المسلمين لهذا رأيت أن من واجب البيان أن أساهم بهذه الرسالة فى أن أجمع الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء فى مسألة نزول عيسى عليه السلام قرب قيام الساعة واقتديت فى هذه الرسالة بالأئمة أصحاب الصحاح والسنن النبوية .

والله أسأل أن يهدى بهذه الرسالة خلقا كثيراً من عباده وأن يكثر بها ثوابى وأن يجعلها من الأعمال التى لا ينقطع عنى نفعها وخيرها بعد أن أدرج فى أثوابى، وأنا سائل أخا انتفع بشيء منها أن يدعو لى ولوالدى وللمسلمين أجمعين

محمد سعيد

أدلة نزوله عليه السلام

الآية الأولى

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ . [النساء : ١٥٧ - ١٥٩]

حسد اليهود له وسعيهم فى قتله:

قال ابن كثير :

كان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه - أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى ، حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التى كان يبرئ بهاالأكمة والأبرص ويحى الموتى بإذن الله ، ويصور من الطير طائرا ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن الله عز وجل . . إلى غير ذلك من المعجزات التى أكرمه الله بها وأجراها على يديه ، ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا فى إيذائه بكل ما أمكنهم حتى جعلوا نبى الله- عيسى عليه السلام - لا يساكنهم فى بلدة ، بل يكثر السياحة هو وأمه - عليهما السلام-

ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق فى ذلك الزمان ، وكان رجلا مشركاً من عبدة الكواكب ، وكان يقال لأهل ملته اليونان ، وأنهوا إليه أن فى بيت المقدس رجل يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ،ويكف أذاه عن الناس .

فلما وصل الكتاب امتثل والى بيت المقدس إلى ذلك ، وذهب هو وطائفة

من اليهود إلى المنزل الذى فيه عيسى - عليه السلام - وهو فى جماعة من أصحابه اثنى عشر أو ثلاثة عشر ، وقيل سبعة عشر نفراً ، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحاصروه هنالك . فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه : أيكم يلقى عليه شبهى وهو رفيقى فى الجنة ؟

فانتدب لذلك شاب منهم ، فكأنه استصغره عن ذلك ، فأعادها ثانية وثالثة ، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب ، فقال : أنت هو . . وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو . . . وفتحت روزنة فى سقف البيت وأخذت عيسى - عليه السلام - سنة من النوم فرفع إلى السماء وهوكذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ﴾ الآية .

فلما رفع خرج أولئك النفر ، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى ، فأخذوه فى الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه ، وأظهر اليهود أنهم سعوا فى صلبه ، وتبجحوا بذلك ، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ، ما عدا من كان فى البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه .

وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم ؛ حتى ذكروا أن مريم جلست تحت هذا المصلوب وبكت ، ويقال أنه خاطبها .

رفع عيسى امتحان من الله لعباده :

وهذا كله من امتحان الله عباده لما له فى ذلك من الحكمة البالغة .

وقد أوضح الأمر وجلاه وبينه وأظهره فى القرآن العظيم الذى أنزله على رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات . . فقال تعالى، وهو أصدق القائلين ، ورب العالمين المطلع على السرائر والضمائر ، الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، العالم بما كان ومايكون ومالم يكن

لوكان كيف يكون : ﴿و ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ .

أى رأوا شبه فظنوه إياه . .

ولهذا قال : ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ .

يعنى بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهال النصارى ، كلهم فى شك من ذلك وحيرة وضلال ، ولهذا قال : ﴿وما قتلوه يقينا ﴾ .

أى وما قتلوه متيقنين أنه هو ، بل شاكين متوهمين : ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

أى منيع الجناب لا يرام جنابه ولا يضام من لاذ ببابه .

﴿ حكيماً ﴾ فى جميع ما يقدره وتقتضيه من الأمور التى يخلقها وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، والسلطان العظيم ، والأمر القديم .

﴿ولكن شبه لهم﴾ :

روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال :

لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج على أصحابه ، وفى البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين ، فخرج عليهم من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بى .

قال ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتي؟

فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له : اجلس .

ثم عاد عليهم ، فقام ذلك الشاب ، فقال : اجلس . . ثم عاد عليهم ،

فقام ذلك الشاب ، فقال : أنا، فقال : هو أنت ذاك .

فألقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة فى البيت إلى السماء .

قال : وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتى عشر مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق :

فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية .

وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه إليه ، وهؤلاء النسطورية .

وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون .

فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم -

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه النسائى عن أبى معاوية بنحوه، وكذا ذكره غير واحد من السلف أنه قال لهم :

أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى وهورفيقى فى الجنة .

وروى ابن جرير عن وهب بن منبة قال :

أتى عيسى ومعه سبعة عشرة من الحواريين فى بيت ، فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم : سحرتمونا . لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً . فقال عيسى لأصحابه من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة ؟

فقال رجل منهم : أنا

فخرج إليهم ، وقال : أنا عيسى .

وقد صوره الله على صورة عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم ، فظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ، وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ، ورفع الله عيسى عليه السلام من يومه ذلك . وهذا سياق غريب جدا .

وروى ابن جرير عن وهب أن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشق عليه ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما ، فقال : أحضرونى الليلة فإن لى إليكم حاجة .

فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال :

ألا من رد عليّ الليلة شيئا مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال :

أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى ، فليكن لكم بى أسوة ، فإنكم ترون أنى خيركم ، فلا يتعاظم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسى لكم، وأما حاجتى الليلة التى استعنتكم عليها : فتدعون الله لى ، وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى .

فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء ، فجعل يوقظهم ويقول :

– سبحان الله – أما تصبرون لى ليلة واحدة تعينونى فيها ؟

فقالوا : والله ما ندرى ما لنا ، لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمراً وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه .

فقال : يذهب الراعى وتفرق الغنم . وجعل يأتى بكلام نحو هذا ينعى به نفسه ثم قال :

الحق ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى .

فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه ، وأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا :

هذا من أصحابه فجمد وقال : ما أنا بصاحبه . . فتركوه .

ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك ، فبكى وأحزنه . فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال : ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح ؟

فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلهم عليه ، وكان شبه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل ، وجعلوا يقودونه ويقولون له : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنهر الشيطان وتبرئ المجنون ، أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل . . .

ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم . . فمكث سبعا . .

ثم إن أمه والمرأة التى كان يداويها عيسى -عليه السلام - وأبرأها الله من الجنون ، جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب ، فجاءهما عيسى فقال : ما تبكيان ؟ قالتا : عليك .

فقال : إنى قد رفعنى الله إليه ، ولم يصبن إلا خير ، وإن هذا شبه لهم . . فأمر الحواريين أن يلقوه إلى مكان كذا وكذا . . فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر ، وفقدوا الذى كان باعه ودل عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه . . فقال : لو تاب لتاب الله عليه .

ثم سألهم عن غلام تبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم فانطلقوا ،

فإنه سيصبح كل إنسان يحدث بلغة قومه ، فلينذرهم وليدعهم . وهذا سياق غريب جدا .

وروى ابن جرير عن ابن إسحاق قال :

كان اسم ملك بنى إسرائيل الذى بعث إلى عيسى ليقتله رجلاً منهم يقال له داود ، فلما أجمعوا لذلك منه لم يفظع عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لى فظعة ، ولم يجزع منه جزعة ، ولم يدع الله فى صرفه عنه دعاءه ، حتى إنه ليقول فيما يزعمون : اللهم إن كنت صارفاً هذه الكأس عن أحد من خلقك فاصرفها عنى ، وحتى إن جلده من كرب ذلك ليتصفد دما

فدخل المدخل الذى أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو و أصحابه ، وهم ثلاثة عشر ، بعيسى - عليه السلام - ، فلما أيقن أنهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين ، وكانوا اثنى عشر رجلا .

فطرس ، ويعقوب بن زبدى ، ويحنس أخو يعقوب ، وأندراييس ، وفيلبس ، وأبر تلما ، ومتى ، وتوماس ، ويعقوب بن حلقيا ، وتداوسيس ، وقثانيا ويودس زكريا يوطا .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم فيما ذكرلى رجل اسمه سرجس ، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً سوى عيسى - عليه السلام - جحدته النصارى ، وذلك أنه هو الذى شبه لليهود مكان عيسى ، قال : فلا أدرى هو من هؤلاء الاثنى عشر ، أو كان ثالث عشر ، فجحدوه حين أقروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الخبر عنه ، فإن كانوا ثلاثة عشر فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى أربعة عشر ، وإن كانوا اثنى عشر فإنهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل كان نصرانيا فأسلم أن عيسى عليه

السلام حين جاءه من الله : ﴿إني رافعك إلى﴾ قال :

يا معشر الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة حتى يشبه للقوم فى صورتى فيقتلوه فى مكانى ؟

فقال سرجس : أنا ياروح الله .

قال : فاجلس فى مجلسي.

فجلس فيه ورفع عيسى عليه السلام ، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه ، فكان هو الذى صلبوه وشبه لهم به ، وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة ، قد رأوهم فأحصوا عدتهم ، فلما دخلوا عليه ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يرون ، وفقدوا رجلا من العدة ، فهو الذى اختلفوا فيه ، وكانوا لا يعرفون عيسى حتى جعلوا (ليودس زكريا يوطا) ثلا ثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه، فقال لهم :

إذا دخلتم عليه فإنى سأقبله ، وهو الذى أقبل ، فخذوه ، فلما دخلوا وقد رفع عيسى ورأى سرجس فى صورة عيسى فلم يشك أنه هو ، فأكب عليه فقبله، فأخذوه فصلبوه .

ثم إن (يودس زكريا يوطا) ندم على ما صنع فاختنق بحبل حتى قتل نفسه، وهو ملعون فى النصارى ، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه ، وبعض النصارى يزعم أنه يودس زكريا يوطا وهو الذى شبه لهم فصلبوه وهو يقول :

إنى لست بصاحبكم ، أنا الذى عليه، والله أعلم أى ذلك كان .

وقال ابن جرير عن مجاهد : صلبوا رجلا شبه بعيسى ، ورفع الله عز وجل عيسى -عليه السلام- إلى السماء حيا .

واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه .

وقال سبحانه: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾.

قال ابن جرير ما مختصره: اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ يعنى قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة ، وهى ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام .

عن ابن جبير عن ابن عباس قال : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم - عليه السلام - قال : أبو مالك فى قوله : ﴿ إلا ليؤمنن به﴾ ذلك عند نزول عيسى. وقبل موت عيسى ابن مريم - عليه السلام - لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به .

وقال الحسن : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ أى قبل موت عيسى ، والله إنه لحى الآن عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

وقال الحسن أيضا : إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر .

وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد .

وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر من كان يوجه الآية إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل فى دينه:

قال ابن جرير وقال آخرون : يعنى بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابى.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى .

وعن مجاهد فى قوله : ﴿ إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موت صاحب الكتاب .

وقال ابن عباس : لوضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : لا يموت اليهودى حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ، ولو عجل إليه بالسلاح .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ قال : هى فى قراءة أبى : قبل موتهم . . ليس يهودى يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى .

قيل لابن عباس : أرأيت إن خر من فوق بيت ؟

قال : يتكلم فى الهوى .

قيل : أرأيت إن ضربت عنق أحدهم ؟

قال : يلجلج بها لسانه .

وعن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ قال : لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى - عليه السلام - وإن ضرب بالسيف تكلم به ، وإن هوى تكلم به وهو يهوى .

فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة وابن سيرين ، وبه قال الضحاك .

قال ابن جرير وقال آخرون : معنى ذلك ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابى .

عن عكرمة قال : لا يموت النصرانى ولا اليهودى حتى يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم -

أولى هذه الأقوال بالصحة :

قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول ، وهو أن لايبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى ـ عليه السلام - إلا آمن به قبل موت عيسى - عليه السلام -

قال ابن كثير :

ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآية فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم منهم من النصارى الجهلة فى ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم رفعه إليه وإنه باق حى ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التى سنوردها إن شاء الله قريبا ، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، و لا يقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف .

فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ أى قبل موت عيسى - عليه السلام - الذى زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب .

﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ .

أى بأعمالهم التى شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض .

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابى لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد - عليهما الصلاة والسلام - فهذا هو الواقع ، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلى له كل ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً

نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك ، كما قال تعالى فى أول هذه السورة : ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ .

قال الشنقيطى رحمه الله (فى أضواء البيان ٧ / ٢٦٣) :

فإن قيل قد ذهبت جماعة من المفسرين من الصحابة فمن بعدهم إلى أن الضمير في قوله : قبل موته راجع إلى الكتابى أي إلا ليؤمنن به الكتابى قبل موت الكتابى .

فالجواب أن يكون الضمير راجعا إلى عيسى يجب المصير إليه دون القول الآخر لأنه أرجح منه من وجوه أربعة :

الأول : أنه ظاهر القرآن المتبادر منه وعليه تنسجم الضمائر بعضها مع بعض والقول الآخر بخلاف ذلك .

الوجه الثانى : من مرجحات هذا القول أنه على هذا القول صحيح فمفسر الضمير ملفوظ مصرح به فى قوله تعالى﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾وأما على القول الآخر فمفسر الضمير ليس مذكوراً فى الآية أصلاً بل هو مقدر تقديره : ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته أى موت أحد أهل الكتاب المقدر .

ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير .

الوجه الثالث : من مرجحات هذا القول الصحيح أنه تشهد له السنة النبوية المتواترة لأن النبى ﷺ قد تواترت عنه الأحاديث بأن عيسى حى الآن ، وأنه سينزل فى آخر الزمان حكماً مقسطاً ولا ينكر تواتر السنة بذلك إلا مكابر .

الوجه الرابع : هو أن القول الأول الصحيح واضح لا إشكال فيه ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص بخلاف القول الآخر فهو مشكل لا يكاد يصدق إلا مع تخصيص والتأويلات التى يروونها فيه عن ابن عباس وغيره ظاهرة البعد والسقوط لأنه على القول بأن الضمير فى قوله قبل موته راجع إلى عيسى فلا إشكال ولا خفاء ولا حاجة إلى تأويل ولا إلى تخصيص .

وبهذا كله تعلم أن الضمير في قوله ﴿قبل موته﴾ راجع إلى عيسى وأن تلك الآية من سورة النساء تبين قوله تعالى هنا ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ كما ذكرنا .

المسيح حى فى السماء :

فالمراد بالآية تقرير وجود عيسى - عليه السلام - وبقاء حياته فى السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى ، الذين تباينت أقوالهم فيه ، وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ، ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصارى . . تنقضه اليهود بما رموه به ، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه ، فرفعوه فى مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية !!

تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً ، وتنزه وتقدس ، لا إله إلا هو .

الآية الثانية :

قال الله تعالى : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾[آل عمران : ٤٦] .

وقال جل شأنه : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ [المائدة : ١١٠] .

قال ابن جرير قال : حدثنى يونس ، أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعته-

يعني ابن زيد - يقول في قوله : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ [آل عمران : ٤٦]، قال: قد كلمهم عيسى في المهد، و سيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل.

وقال ابن جرير : حدثني يونس، أخبرنا ابن هب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: متوفيك: قابضك، قال: متوفيك ورافعك ، قال: ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وتلا قول الله عز وجل : ﴿ و يكلم الناس في المهد وكهلا ﴾ [آل عمران: ٤٦] قال: رفعه الله قبل أن يكون كهلا، قال : وينزل كهلاً.

وقال الحسين بن الفضل البجلي: إن المراد بقوله: ﴿ وكهلاً﴾ أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال.

قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض.

وقال ثعلب في قوله : ﴿ وكهلاً﴾ : ينزل عيسى إلى الأرض كهلاً. أ. هـ.

الآية الثالثة :

قال الله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ [الزخرف: ٦١] .

قال الشنقيطي رحمه الله (فى أضواء البيان ٧/ ٢٦٣) التحقيق أن الضمير في قوله تعالي ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ علي القول الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حيا علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها .

وإطلاق علم للساعة على نفس عيسى جار على أمرين كلاهما اسلوب

عربى معروف .

أحدهما : أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقربها كانت تلك العلامة سببا لعلم قربها فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب .

وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربى معروف في القرآن وفي كلام العرب .

والثاني من الأمرين : أن غاية ما في ذلك أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وإنه لذو علم للساعة أي وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها لكونه علامة لذلك .

وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن ، وفي كلام العرب . أهـ باختصار

قال عبد الله الغماري في كتابه (إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان) عند كلامه على هذه الآية : أي : وإن عيسى لعَلَمٌ للساعة تُعْلَمُ بنزوله فلا تشكن فيها ، بهذا فسرها النبي ﷺ .

قال ابن حبان في صحيحه : ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلاه الساعة :

أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل ، حدثنا هشام بن عمر ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن أبي يحيى مولى ابن عفراء ، عن ابن عباس ، عن النبي في قوله : ﴿ وإنه لعلم للساعة﴾ [الزخرف : ٦١] . قال : (نزل عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة) .

هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات ، وعاصم من أئمة القراء المشهورين .

وجاء عن ابن عباس وأبي مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدي

والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبيﷺ، وآثارهم مروية في تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة وطرق متعددة كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة.

وهذا التفسير هو المتعين الذي لا يجوز في الآية غيره، والدليل عليه أمور:

أحدها : أنه الذي صح عن النبي ﷺ كما تقدم .

ثانيها: أن سياق الكلام في عيسى عليه السلام . . . اقرأ قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون . وقالوا ءألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون . إن هو إلاعبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل . ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون . وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ [الزخرف: ٥٧- ٦١] .

فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة كما قال ابن جرير فيما سبق.

ثالثها : أنه لو أُعيد الضمير على غير عيسى كما قيل لأدى ذلك ركّة في اللفظ تتنزه عنها بلاغة الكتاب الحكيم . أ. هـ نقلاً من الدكتور محمد خليل هراس.

وقال العلامة ابن كثير :

وقوله سبحانه: ﴿ وإنه لعلم للساعة﴾ [الزخرف: ٦١] تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بُعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص إلى غير ذلك من الأسقام ، وفيه نظر ، وأبعد منه ما حكاه قتادة نقلاً عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في

﴿وإنه﴾ عائد على القرآن، بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره. ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ [النساء: ١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً. يأيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿ إنه لعلم للساعة﴾ [الزخرف: ٦١]، أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة.

وهكذا روي عن أبي عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً حكماً دائماً مقسطاً. أ. هـ

الأحاديث فى نزول عيسى ﷺ

هذه الأحاديث منقولة من ابن كثير فى تفسير الآية ١٥٩ من سورة النساء :

قال ابن كثير:

وردت أحاديث فى نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء فى آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له . .

روى البخارى رحمه الله فى كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد** » .

ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾ . وكذا رواه مسلم .

وفى رواية أيضاً : « **يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، يقتل الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وتكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها** » .

فوائد الحديث:

١ -قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ١ / ٣٧١) معناه أن المال يكثر وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتقىء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء فى الحديث الأخر ، وتقل أيضا الرغبات لعلمهم بقرب الساعة فإن عيسى علم من أعلام الساعة والله أعلم .

وقال رحمه الله : وأما قوله : «حتي تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها »فمعناه والله أعلم أن الناس تكثر رغبتهم فى الصلاة وسائر

الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم فى الدنيا لعدم الحاجة اليها ، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث ، وقال القاضى عياض رحمه الله : معناه أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة فى الجهاد قال : والسجدة هى السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة والله أعلم . أهـ.

٢- قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ١ / ٣٧٠) : وقوله ﷺ : « فيكسر الصليب» معناه يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصاري من تعظيمه .

وقال رحمه الله : فيه دليل علي تغيير المنكرات وآلات الباطل ، وقتل الخنزير من هذا القبيل وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أوغيرها وتمكنا من قتله قتلناه ، وإبطال لمن شذ من أصحابنا وغيرهم فقال : يترك إذا لم يكن فيه ضراوه .

٣- وقال الحافظ فى الفتح (٦ / ٤٩١) : يستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله لأن الشيء المتنفع به لا يشرع إتلافه .

وقال رحمه الله فى الفتح (٥ / ١٢١) : وفيه إشارة إلى أن من قتل خنزيرا أو كسر صليبا لا يضمن لأنه فعل مأمورا به ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله ، وهو إذا نزل كان مقررا لشرع نبينا ﷺ .

ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين ، أو الذمى إذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان متعديا لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية ، وهذا هو السر فى تعميم عيسى عليه السلام كسر كل صليب لأنه لا يقبل الجزية ، وليس ذلك منه نسخا لشرع نبينا محمد ﷺ بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره .

هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ / ٤٩٢) عن ابن بطال قوله : وإنما قبلناها قبل نزول عيسى -أي الجزية - للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال فى زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد ، ويحتمل أن يقال أن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما فى أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان فى انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم فناسب أن يعاملوا معاملتهم فى عدم قبول الجزية منهم ، هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالا والله أعلم .

٤-قال الحافظ فى الفتح (٦/ ٤٩١) فى قوله «ليوشكن» : أى ليقربن أى لابد من ذلك سريعاً .

٥-وفى قوله «يقتل الخنزير» توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريق عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته . فتح(٤/ ٤١٤)

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال :

« ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعاً » . وكذا رواه مسلم منفرداً به .

قال الإمام النووى : وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء فى آخر الزمان .

ويقول الشنقيطي في تعقيبه على هذا الحديث : (فأيّ دليل أصرح في نزوله وكونه لا زال حيّا من إقسام النبي ﷺ على أنه سيهل حاجّا أو معتمراً مرة أو مرتين ؟ !) أ . هـ.

روى أحمد عن حنظلة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطى

المال حتى لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما» .

وتلا أبو هريرة : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾

فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موت عيسى ، فلا أدرى هذا كله حديث النبى أو شيء قاله أبو هريرة .

وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كيف انتم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم » . ورواه أحمد ومسلم .

ويقول الشيخ الشنقيطى فى كتابه زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم نقلاً عن الشيخ محمد هراس :

تنبيه : يجب شرعاً اعتقاد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لا زال حياً إلى الآن ، وأنه لابد أن ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام ومجاهداً في سبيل الله تعالى ، كما تواتر عن الصادق المصدوق ، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن اليهود ما قتلوه ، وأنه تعالى رفعه ، كما قال تعالى : ﴿وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه﴾ [النساء : ١٥٧ ، ١٥٨] .

وقد وردت الأحاديث المتواترة - كما سبق - أنه ينزل في آخر الزمان حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله أحد ، غير ذلك من الأحاديث المصرحة بنزوله وبمدته حيا في الأرض بعد نزوله ، ولم يصح حديث بموته تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله في آخر الزمان .

وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل ، وبين النبى ﷺ لنا أنه سينزل في آخر الزمان ، فصل لنا أحاله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال : وجب اعتقاد

ذلك على كل مسلم .

ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة : لأنه مما علم من الدين ضرورة بلا نزاع ، وكل إيراد عليه من الملاحدة والجهلة باطل لا ينبغي لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه . أ . هـ .

فوائد الحديث :

١- قال الحافظ في الفتح :

قال العلماء : الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه ، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم .

٢- وقال الحافظ رداً على سؤال لم لم يصل عيسى ابتداء؟ لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال ، ولقيل : أتراه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة جاء قوله : «لا نبي بعدي» .

٣- وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخل من قائم لله بحجة ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيتان لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » .

وروى البخارى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **أنا أولى بعيسى ابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبى** » .

وروى أيضاً عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد** ».

فوائد الحديث:

١- قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٩١): أولاد العلات الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، وأراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .

وقال الحافظ في الفتح : والعلات بفتح المهملة : الضرائر ، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخري كأنه عل منها ، والعلل : الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، وقد بينه فى رواية عبد الرحمن فقال : «أمهاتهم شتي ودينهم واحد» وهو من باب التفسير كقوله تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ﴾ ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع ، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة .

٢-مكانة سيدنا عيسى عليه السلام

وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصادفوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم .**

فيقول المسلمون : لا ، والله ، لا نخلى بينكم وبين إخواننا .. فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد

علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم! فيخرجون، وذلك باطل .فإذا جاءوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال ، يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام- فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه فى حربته».

وروى أحمدعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - فتذاكروا أمر الساعة ، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال : لا علم لى بها ..فردوا أمرهم إلى موسى ، فقال : لا علم لى بها .. فردوا أمرهم إلى عيسى ، فقال : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد لى ربى عز وجل أن الدجال خارج ومعى قضيبان ، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال : فيهلكه الله إذا آتى ، حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتى كافر فتعال فاقتله .

قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيطئون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه.

قال : ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر..

ففيما عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلا أو نهارا ».

ورواه ابن ماجه عن العوام بن حوشب به نحوه .

وروى الإمام أحمد عن أبى نضرة قال : أتينا عثمان بن أبى العاص فى يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه ، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ، ثم أتينا بطيب فتطيبنا ، ثم جئنا المسجد فجلسنا إلى رجل فحدثنا

عن الدجال ، ثم جاء عثمان بن أبى العاص فقمنا إليه فجلسنا فقال :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يكون للمسلمين ثلاث أمصار : مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ، فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال فى أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق، فأول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين ، فيصير أهلها ثلاث فرق : فرقة تقول: نشامه ننظر ماهو ؟ وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم، ومع الدجال سبعون ألفا عليه التيجان ، وأكثر من معه اليهود والنساء.. وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون أرحالهم ، فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى منادى من الشجر: يا أيها الناس ، أتاكم الغوث ثلاثا فيقول بعضهم لبعض : إن هذا الصوت رجل شبعان .. وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم : ياروح الله ، تقدم صل..فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض.

فيتقدم أميرهم، فيصلى ، حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله ويهزم أصحابه ، فليس يومئذ شيء يوارى منهم أحدا، حتى إن الشجرة لتقول : يا مؤمن هذا كافر ، ويقول الحجر: يا مؤمن هذا كافر»

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وروى ابن ماجه فى سننه عن أبى أمامة الباهلى قال :

خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال :

« إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم ، أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو

خارج فيكم لامحالة ، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم.. وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعيث يمينا ويعيث شمالا ، ياعباد الله فاثبتوا، فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى ، إنه يبدأ فيقول : أنا نبى ولا نبى بعدى !ثم يثنى فيقول : أنا ربكم!! ولا ترون بكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور : وإنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، كاتب أوغير مكاتب وإن من فتنته معه جنة ونارا.. فناره جنة، وجنته نار .. فمن ابتلى بناره فليستعذ بالله وليقرأ فواتح الكهف،فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم.

وإن من فتنته أن يقول لأعرابى :

أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أنى ربك ؟

فيقول :نعم ..

فيتمثل له شيطانان فى صورة أبيه وأمه ، فيقولان له : يا بنى اتبعه ، فإنه ربك!!

وإنه من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين ، ثم يقول :

انظروا إلى عبدى هذا ، فإنى أبعثه الآن ، ثم يزعم أنه له ربا غيرى..فيبعثه الله ، ويقول له الخبيث : من ربك ؟

فيقول : ربى الله ، وأنت عدو الله أنت الدجال ، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم ».

قال أبو الحسن الطنافسى : فحدثنا المحاربى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - « ذلك الرجل أرفع أمتى درجة فى الجنة». قال أبو سعيد : والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب ، حتى

مضى سبيله .

قال المحاربي : ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع . قال : « وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت .. وإن من فتنته أن يأمر بالحى فيكذبونه ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت .. وإن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه ، وأمده خواصر وأدره ضروعا..وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته، حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فتنفى الأرض الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص » .

فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟

قال : « هم يومئذ قليل ، وجلهم ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص ، يمشى القهقرى ، ليقدم عيسى يصلى بالناس ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له:تقدم فصل، فإنها لك أقيمت..

فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى – عليه السلام– : افتحوا الباب..

فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودى ، كلهم ذى سيف محلى وساج.. فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، وينطلق هاربا ويقول عيسى -عليه السلام - : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله ..

ويهزم الله اليهود ، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله

ذلك الشيء،لاحجر ولا شجر ، ولا حائط ، ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم ، لا تنطق إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال فاقتله».

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:« وإن أيامه أربعون سنة. السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة ، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى .

فقيل له : يا رسول ، كيف نصلى تلك الأيام القصار ؟

قال : تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها هذه الأيام الطوال ثم صلوا»

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : « فيكون عيسى ابن مريم -عليه السلام - فى أمتى حكما عادلا ، وإماما مقسطا ، يدق الصليب،ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترتفع الشحناء والتباغض ، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده فىّ الحية فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة ، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها . وتكون الأرض كفاثور الفضة ، تنبت نباتها كعهد آدم ، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، وتكون الفرس بالدريهمات .

قالوا : يا رسول الله ، وما يرخص الفرس ؟

قال :« لا تركب لحرب أبدا » .

قيل له : فما يغلى الثور .

قال :« تحرث الأرض كلها .. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد ، يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها. ثم يأمر الله السماء فى السنة الثانية

فتحبس ثلثى مطرها و يأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها، ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله ، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله ، فلا تنبت خضراء ،فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شا ء الله » .

قيل : فما يعيش الناس فى ذلك الزمان ؟ قال : « التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد،ويجرى عليهم ذلك مجرى الطعام » .

قال ابن ماجة : سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول : ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب

هذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه ، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر ، من ذلك ما رواه عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم،ورائى يهودى فتعال فاقتله » .

وروى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قال : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقو ل الحجر أو الشجر ، يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

فواد الحديث:

قال القرطبى : وقوله : « يا عباد الله فاثبتوا» ، يعنى على الإسلام يحذرهم من فتنته ؛ لأنه يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت .

وقوله : «فاقدروا له قدره » ، قال القاضى عياض : هذا جكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع ، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

قلت : وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضا ما حكمه صاحب الشرع، وقد حمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها ، وإنما هى محمولة على المعنى . أى يهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء، وأيام البلاء طوال ، ثم يتناقص ذلك الغم فى اليوم الثانى ثم يتناقص فى اليوم الثالث ، يعتاد البلاء كما يقول الرجل : اليوم عندى سنة ومنه قولهم :

وليل المحب بلا آخر

وقال آخر :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

وهذا القول يرده قولهم : أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : «لا ، اقدروا له قدره» والمعنى قدروا الأوقات للصلوات ، وكذلك لا التفات لطعنه فى صحة هذه الألفاظ ، أعنى قوله : أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : «لا ، اقدروا له قدره » فقال : هذا عندنا من الدسائس التى كادنا بها ذوو الخلاف علينا ، ولو كان صحيحاً لاشتهر على ألسنة الرواة كحديث الدجال ، ولو كان لقوى اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها ، والجواب : أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ما ذكره مسلم ، وحسبك به إماما ، وقد ذكرها الترمذى من حديث النواس أيضاً وقال : حديث حسن صحيح ، وخرجها أبو داود أيضاً وابن ماجه من حديث أبى أمامة ، وقاسم بن أصبغ من حديث جابر ، وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث ، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرر والثقة بعيد لا يلتفت إليه ، لأنه يؤدى إلى القدح فى أخبار الآحاد ، ثم إن ذلك فى زمن خرق العادات وهذا منها . أهـ.

ولنذكر حديث النواس بن سمعان هاهنا لشبهه بسياقه هذا الحديث

روى مسلم فى صحيحه عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله-

صلى الله عليه وسلم - الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم »

فقلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة . فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفةالنخل ، فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ، فكل امرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم .. إنه شاب قطط عينه طافيه ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سور ة الكهف،إنه خارج خلة بين الشام والعراق ،فعاث يمينا وعاث شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا»

قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟

قال : « أربعون يوما ،يوم كسنة ويوم كشهر ، ويوم كجمعة . وسائر أيامه كأيامكم»

قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : « لا اقدروا له قدره » .

قلنا : يا رسول الله : وما إسراعه في الأرض ؟

قال : « كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عنهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا ، وأمده خواطر .. ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم،فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة

ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه باب لد ، فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح على وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى:

إني قد أخرجت عبادا لي ، لا يدان لأحد بقتلهم ،فحرز عبادي إلى الطور ..

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ،وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أولهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء،ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة .. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبرا إلا ملأه دهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ...

ثم يرسل الله مطرا لا يكن بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض :

أخرجي ثمرك ، وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها،ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس .. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس .. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة ». ورواه أحمد وأصحاب السنن .

فائدة : قال الحافظ في الفتح(١٣/ ٩١- ٩٣) : قال الخطابي: فإن قيل:

كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد الكفر؟ فإن إحياءالموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء، فكيف ينلها الدجال وهو كذاب مفتر يدعي الربوبية؟!

فالجواب: أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على مبطل غير محق في دعواه: وهو أنه أعور مكتوب على جبهته« كافر » يقرأه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر نقص الذات والقدر؛ إذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة، فلا يشتبهان.

وروى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو ، وقد جاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذى تحدث به ؟ تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا !

فقال : سبحان الله ، أو لاإله إلا الله ، أوكلمة نحوهما ، لقد هممت أن لا أحدث شيئا أبدا ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما ، يحرّق البيت ، ويكون ، ويكون . . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحدا فى قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لوأن أحدكم دخل كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه » .

قال : سمعتها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، قال : «فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألاتستجيبون؟فيقولون : فما تأمرنا ؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم فى ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم .. ثم ينفخ فى الصور ، فلايسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا .. قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ، ويصعق الناس ، ثم يرسل الله – أوقال : ينزل الله- مطرا كأنه الطل أو قال الظل، نعمان الشاك فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ

فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال ياأيها الناس ، هلم إلى ربكم: ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون﴾ .

قال : «ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟

فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» .

قال : «فذلك يوم يجمع الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق ».

قال الشيخ هراس:

والشاهد في هذا الحديث الصحيح قوله : «فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم» ، وليس المراد ببعثه أنه يحييه من الموت، بل معناه أنه ينزله إلى الأرض – ليتفق مع بقية الأحاديث

وروى الإمام أحمد عن مجمع بن جارية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد – أو إلى جانب لد».

وأحاديث كثيرة فى ذكر الدجال ، وهى أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة روايتها فى الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك

الآيـات العشـر :

روى الإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال : « لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها .. والدخان .. والدابة .. وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم .. والدجال .. وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب . ونار تخرج من قعر عدن تسوق – أوتحشر – الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » .

وهكذا رواه مسلم ، وأصحاب السنن . . ورواه مسلم أيضا عن حذيفة بن أسيد الغفارى موقوفا والله أعلم .

خلاصة القول :

فهذه أحاديث كثيرة متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبى هريرة وابن مسعود ، وعثمان بن أبى العاص ، وأبى أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمر بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبى سريحة ، وحذيفة بن أسيد ، - رضى الله عنهم - وفيها دلالة على صفة نزوله ، ومكانه من أنه بالشام ، بل بدمشق عند المنارة الشرقية ، وأن ذلك يكون بعد إقامة الصلاة للصبح ، وقد بنيت فى هذه الأعصار فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموى بيضاء من حجارة منحوتة عوضا عن المنارة التى هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هى التى ينزل عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم فى الصحيحين ، وهذا إخبار من النبى ﷺ بذلك، و تقرير وتشريع ،وتسويغ له على ذلك الزمان ، حيث تنزاح عللهم ، وترتفع شبههم من أنفسهم ، ولهذا كلهم يدخلون الإسلام متتابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ .

وهذه الآية كقوله : « **وإنه لعلم للساعة** » وقرئ « **لعلم الساعة** » بالتحريك، أى إمارة ودليل على اقتراب الساعة ، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه ،كما ثبت فى الصحيح : «**أن الله تعالى لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء**» . . . . ويبعث الله فى أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعاؤه ، وقد قال تعالى :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾ .

صفة عيسى عليه السلام :

قد تقدم فى حديث أبى هريرة : « فإذا رأيتموه فـا عرفوه : رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران ، كأنه رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل».

وفى حديث النواس بن سمعان :

« فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حتى ينتهى طرفه ».

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام» قال : فنعته النبى صلى الله عليه وسلم.

قال : « ولقيت عيسى» (فنعته النبى صلى الله عليه وسلم) «فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس» (يعنى حماما) .

قال : « ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، وأنا أشبه ولده به» الحديث .

وروى البخارى من حديث مجاهد عن ابن عمر قال :

قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت موسى وعيسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط » .

ولمسلم عنه مرفوعا :

« أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة ، فإذا رجل آدم كأحسن ماترى من

أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين ، وهو يطوف بالبيت . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم

ورأيت وراءه رجلا جعدا قططا ، أعور عين اليمنى ، كأشبه ما رأيت من الناس بابن قطن ، واضعا يديه على منكبي رجلين ، يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا المسيح الدجال ».

ورواه البخاري عن سالم عن أبيه قال : لا والله ، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر ، ولكن قال :

« بينما أنا نائم أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم سبط الشعر ، يتهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - فقلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم

فذهبت ، ألتفت فإذا رجل جسيم ، جعد الرأس،أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية ، فقلت : من هذا ؟

قالوا : هذا الدجال . وأقرب الناس به شبها ابن قطن » .

قال الزهري : قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية .

قال الشيخ محمد هراس:

ومعنى هذا الحديث الذي رواه مسلم من عدة طرق عن ابن عمر : أن النبي ﷺ مُثِّلَ له في المنام- ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وَحْيٌ- ما سيكون عليه الحال في آخر الزمان من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وطوافه بالبيت، ومن ظهور المسيح الدجال كذلك، وطوافه بالبيت، ويؤيد ذلك رؤيته لهما معاً في منام واحد، فإنه من المعلوم أن عيسى عليه السلام هو الذي سيقتل المسيح الدجال كما مر في الأحاديث.

قال الحافظ في الفتح ما مختصره (١٣/ ٩٨ ، ٩٩) :

« واستشكل كون الدجال يطوف بالبيت وكونه يتلو عيسى ابن مريم، وقد ثبت : أنه إذ رآه يذوب .

وأجابوا عن ذلك : بأن الرؤيا المذكورة كانت في المنام، ورؤيا الأنبياء وإن كانت وحياً لكن فيها ما يقبل التعبير . . . . قال القاضي عياض بأن منعه من دخولها إنما هو عند خروجه في آخر الزمان»

ثم قال الحافظ : « ويؤيده ما دار بين أبي سعيد وبين ابن صياد- فيما أخرجه مسلم - وأن ابن صياد قال له : ألم يقل النبي ﷺ إنه لا يدخل مكة ولا المدينة؟! وقد خرجت من المدينة أريد مكة !! فتأوله من جزم بأن ابن صياد هو الدجال : على أن المنع إنما هو حيث يخرج، كذا الجواب عن مشيه وراء عيسى عليه السلام» أ. هـ .

ثم قال ابن كثير :

هذه كلها ألفاظ البخارى - رحمه الله - وقد تقدم فى حديث أبى هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون .

قال قتادة : يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله ، وأقر بعبوديته لله تعالى عز وجل ، وهذا كقوله تعالى فى آخر سورة المائدة :

﴿ وإذقال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ... ﴾ إلى قوله : ﴿ العزيز الحكيم ﴾ . آ. هـ

الأحاديث فى نزول عيسى متواترة

قال ابن جرير الطبرى - بعد ذكره الخلاف فى معنى وفاة عيسى : « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : « معنى ذلك : إنى قابضك من الأرض ، وارفعك إلى » ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال» .

وقال ابن كثير : « تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً» .

وقال صديق حسن خان « والأحاديث فى نزوله عليه السلام كثيرة »ثم ساقها وقال : « جميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع » .

وقال الغماري : « وقد ثبت القول بنزول عيسى عليه السلام عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على مر الزمان إلى وقتنا هذا . . . . . . تواتر هذا تواتراً لا شك فيه ، بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء ، كالقاديانية ومن نحا نحوهم ، لأنه نقل بطريق جمع عن جمع ، حتى استقر فى كتب السنة التى وصلت إلينا تواتراً بتلقى جيل عن جيل» .

وقال الشيخ أحمد شاكر : « نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون ، لورود الأخبار الصحاح عن النبى ﷺ بذلك ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة ، لا يؤمن من أنكره» .

وقال فى تعليقه على «مسند الإمام أحمد» : « وقد لعب المجددون أو المجردون فى عصرنا الذى نحيا فيه بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان ، قبل انقضاء الحياة الدنيا ، بالتأويل المنطوى على الإنكار تارة ، وبالإنكار الصريح أخرى ! ذلك أنهم -

فى حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب ، أو لا يكادون يؤمنون ، وهى أحاديث متواترة المعنى فى مجموعها ، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة ، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل» .

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى : «اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة ، يجب الإيمان بها ، ولا تغتر بمن يدعى فيها أنها أحاديث آحاد ، فإنهم جهال بهذا العلم ، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل ، لوجدها متواترة ، كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر .

ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة» .

الأئمة الذين خرجوا أحاديث نزول عيسى ﷺ

أخرج الأئمة فى كتب السنة ، و المسانيد أحاديث نزول عيسى ﷺ منهم .

«مسند» الطيالسى ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان ابن أبى شيبة ، وأبى يعلى ، والبزار ، والديلمى ، ومن أصحاب الصحاح : البخارى ، ومسلم ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، وأبو عوانة ، والإسماعيلى ، والضياء المقدسى ، وغيرهم ، ورواه أصحاب الجوامع ، والمصنفات ، والسنن ، والتفسير بالمأثور ، والمعاجم ، والأجزاء والغرائب ، والمعجزات ، والطبقات ، والملاحم .

جملة من أقوال الأئمة والعلماء المصرحة بنزول عيسى عليه السلام

١- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في كتابه (اعتقاد أهل السنة والجماعة) ما نصه : (ونؤمن بخروج الدجال الأعور العين ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء) .

٢- وروى ابن أبي يعلى، والخلال ،وابن الجوزيّ في المناقب، عن عبدوس بن مالك أبى محمد العطار ، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول :

(أصل السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة . . . . إلى أن يقول : (والإيمان بأن المسيح الدجال خارج ، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد) .

٣- قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى كتابه (مقالات الإسلاميين) :

(جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد، وأن محمداً عبده رسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ، وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقف بين يدي الله تعالى حق، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ . . . . ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله) .

٤- وقال الإمام أبو بكر الآجريّ في كتابه (الشريعة) : باب الإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام حكماً عدلاً، فيقيم الحق ويقتل الدجال :

حدثنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال : حدثنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب،وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص لا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» .

حدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال : حدثنا محمد بن يزيد أخو كذخويه، قال: أخبرنا وهب بن جرير ، قال: حدثنا هشام، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ، قال: «الأنبياء أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربع إلى الحمرة

والبياض، وكأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، وإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام، حتى يهلك الله فى إمارته الملل كلها غير الإسلام، حتى يهلك الله عز وجل فى إمارته مسيح الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض، حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، ويلبث أربعين سنة ثم يُتوفَّى، ويصلي عليه المسلمون » .

وحدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زيادة، قال: حدثنا ابن أبي عمر، قال:] حدثنا سفيان، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: « يوشك أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً، إماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد » .

قال محمد بن الحسين - هو الآجريّ - رحمه الله: والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد ﷺ، والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال، ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى عليه السلام، ويصلى عليه المسلمون، ويدفن مع النبىّ ﷺ ومع أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثنا عبد الله بن نافع الصائغ، [عن الضحاك بن عثمان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه] قال: الأقبر المنارية: قبر النبي ﷺ، وقبر أبي بكر -رضي الله عنه- وقبر عمر- رضي الله عنه- وقبر رابع يدفن فيه عيسى ابن مريم ﷺ] أ. هـ.

٥-وقال الشيخ العلامة محمد بن أحمد السفاريني السلفي الحنبلي في كتابه المسمى (لوامع الأنوار البهية) :

«ومنها- أي من علامات الساعة العظمى- العلامة الثالثة: أن ينزل من السماء السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة».

وبعد أن ساق من الآيات والأحاديث الدالة على نزوله قال: «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها».

٦-وقال القاضي عياض: «نزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك، وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله فوجب إثباته».

٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمسيح ﷺ وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل إلى الأرض.. كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان فى السماء الثانية، مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون، لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة، بخلاف غيره، وآدم كان فى سماء الدنيا، لأن نسم بنيه تعرض عليه».

الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام دون غيره

فإن قيل : فما الحكمة فى نزوله فى ذلك الوقت دون غيره؟

قال الإمام القرطبى رداً على هذا السؤال فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

١- يحتمل أن يكون ذلك ، لأن اليهود همت بقتله وصلبه ، وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى فى كتابه ، وهم أبداً يدعون أنهم قتلوه وينسبونه فى السحر وغيره إلى ما كان الله يراه نزهه منه ، ولقد ضرب الله عليهم الذلة ، فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته ، ولا كان لهم فى بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة ، فيظهر الدجال ، وهو أسحر السحرة ، ويبايعه اليهود ، فيكونون يومئذ جنده ، مقدرين أنهم يتقمون به من المسلمين ، فإذا صار أمرهم إلى هذا ، أنزل الله تعالى الذى عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حياً ، ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعى الربوبية فقتله ، وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين ، فلا يجدون يومئذ مهرباً ، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه : ياروح الله هاهنا يهودى حتى يوقف عليه . . فإما أن يسلم ، وإما أن يقتل ، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر .

٢- وهو أنه يحتمل أن يكون انزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ فينزله الله تعالى (ليقبره) فى الأرض مدة ، يره فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ، ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ، ويصلون عليه ، ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهى الأرض المقدسة ، فينشر إذا نشر معهم ،

فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق فى تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبار ، فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ، ولم ينتصب لقاتله أحد من المؤمنين لقتلهم، كان هو أحق بالتوجه إليه ، ويجرى قتله على يديه ، إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته ، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية ، فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً . والله أعلم.

٣-أنه وجد فى الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ حسب ما قال وقوله الحق ﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل﴾ فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد ﷺ ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، ورفعه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان ، مجدداً لما درس من دين الإسلام، دين محمد عليه الصلاة والسلام، فوافق خروج الدجال فقتله.

ولا يبدو على هذا أن يقال : إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهرانى الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره ، فلذلك يقوم به وذلك داخل فى اتباع نبينا محمد ﷺ وبالله التوفيق.

واختلف حيث يدفن فقيل : بالأرض المقدسة ذكره الحليمى ، وقيل : يدفن مع النبى ﷺ على ما ذكرناه فى الأخبار . أهـ.

قال الإمام مالك رحمه الله : « بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا» .

وقال ابن كثير : « وصدقوا فى ذلك ، فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة» .

وقال الذهبى فى« تجريد أسماء الصحابة» : « عيسى ابن مريم عليه

السلام : صحابى ، ونبى ، فإنه رأى النبى ﷺ ليلة الإسراء ، وسلم عليه ، فهو آخر الصحابة موتا» .

٤- يهلك الله الملل كلها فى زمانه و لا يقبل من النصارى غير الإسلام أو القتل . قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٩٢) : [يحتمل أن يقال : إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم و انكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً] أ. هـ

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبى ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، ليس بينى وبينه نبى» .

فرسول الله ﷺ أخص الناس به ، وأقربهم إليه ، فإن عيسى بشّر بأن رسول الله ﷺ يأتى من بعده ، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به ، كما فى قوله تعالى : ﴿ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ [الصف : ٦] . وفى الحديث : قالوا : يا رسول الله ! أخبرنا عن نفسك ؟ قال : «نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم و بشرى أخى عيسى» .

مسألة:

وأما وضع عيسى للجزية عن الكفار - مع أنها مشروعة فى الإسلام قبل نزوله عليه السلام - فليس هذا نسخا لحكم الجزية جاء به عيسى شرعاً جديداً، فإن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبين للنسخ بقوله لنا : « والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية» .

مسألة

قال الإمام القرطبي: ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة، وبقوله تعالى ﴿وخاتم النبيين﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا نبي بعدي» وقوله: «وأنا العاقب» يريد آخر الأنبياء وخاتمهم، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ حيث قال لعمر: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي».

وقد روى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة» خرجه مسلم في صحيحه وغيره. فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هي آخر الشرائع، ومحمد آخر الرسل فينزل حكماً مقسطاً، وإذا صار حكما، فإنه سلطان يومئذ للمسلمين، ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي قد قبض الله تعالى العلم، وخلا الناس منه، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره، ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله الله، على ما يأتي، وهذا واضح.

فائدة:

حوارى عيسى عليه السلام إذا نزل هم أصحاب الكهف وفى حجهم معه:

قال كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده قال: غزونا مع النبى ﷺ. . . . . الحديث وقد تقدم. وفيه: «ولا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله حاجاً أو معتمراً أو ليجمعن الله ذلك له قال كثير: فحدثت بهذا الحديث محمد بن كعب القرظى قال: ألا أرشدك فى حديثك هذا؟ قلت: بلى. فقال: كان رجل يقرأ التوراة والإنجيل، فأسلم وحسن إسلامه، فسمع هذا الحديث من نص بعض القوم فقال: ألا أبشركم فى هذا الحديث؟ فقالوا: بلى، فقال: إنى أشهد أنه لمكتوب فى التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام وأنه مكتوب فى الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى ابن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً أو معتمراً، أويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجا، فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا.

الفائدة الثانية:

ذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول فى الأصل الثالث والعشرين والمائة، قال: حدثنا الفضل بن محمد الواسطى قال: حدثنا إبراهيم بن الوليد الدمشقى قال: حدثنى أبى قال: حدثنا عبد الملك بن عقبة الأفريقى، عن أبى يونس مولى أبى هريرة، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثنى خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم موته فلما دخلت عليه قلت: يارسول الله فقال: «على رسلك يا عبد الرحمن، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل، رحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر حتى قتل، رحم الله جعفراً، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى

قتل ، رحم الله عبد الله بن رواحة ، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد ، فخالد سيف من سيوف الله » ، فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله ، فقال : «ما يبكيكم؟» قالوا : وما لنا لا نبكى ، وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟ فقال : «لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها ، فاجتنب رواكبها ، وهيأ مساكبها ، وحلق سعفها ، فأطعمت عاماً فوجا ، ثم عاماً فوجاً فلعل آخرها عاماً طعما يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخا ، والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلفاً من حواريه » .

حدثنا على بن سعيد بن مرزوق الكندى قال : حدثنا عيسى ابن يونس ، عن صفوان بن عمرو السكسكى ، عن عبد الرحمن بن حسين ، عن جبير بن نفير قال : لما اشتد جزع أصحاب رسول الله ﷺ على من أصيب مع زيد بن حارثة يوم مؤتة ، قال رسول الله ﷺ : «ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ، ولن يخزى الله أمة أنا أولها ، والمسيح آخرها » . والله أعلم . أهـ.

واقعنا وانتظار عيسى ﷺ

قال الأستاذ سعيد حوى - رحمه الله - :

(وبعض الناس تغلب عليهم أغلاط فى فهم بعض هذه العلامات ، أو فى تقدير وقتها ، إذ أن منها ما يكون قرب الساعة بقليل جداً قبل المسيح بسنوات أو معه، ومنها ما يكون قبل ذلك بكثير جداً ، فيغلطون بالجمع بينهما، ومنها ما لا تدل عليه المقدمات الحاضرة ، فيغلطون فى تأويلها .

ومنها ما جعلهم فى عصرنا الحاضر ومخترعاته يفهمونها فهماً عادياً ، وهى خوارق ، ومنها ما هو دليل على الخيرية يظنونه مذموماً .

فمثلاً يظن الناس أن الدين إلى انحسار حتى خروج المهدى ، مع أن المهدى قبل عيسى بقليل ، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم ، وتفتح روما، والقسطنطينية وهى اليوم مسلمة ، وكانت كافرة ففتحت ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالفتح الأول ، ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرة مرة ثانية، وتفتح من جديد ، وفتحها الثانى يكون قبيل المسيح بقليل ، والناس لا يفرقون بين فتحها الأول والثانى .

والظاهر - كما أن مدنيات قديمة كثيرة قد اندرست على مر العصور ، فإن مدنيتنا الحاضرة لن تستمر إذ إن النصوص الكثيرة تفيد أن الناس قبل قيام الساعة لن يكونوا على شىء من العلم ، وهذا يؤكد أن بيننا وبين القيامة شيئاً من الفترة الزمنية الله أعلم به ، ولكن أشراطاً كثيرة وردت فى السنة الثانية لم تقع ، ويبدو أن وقوعها يحتاج إلى زمان طويل ، والمسألة بعد ذلك كله هكذا :

ما ورد من علامات الساعة إن كان وقع فهو معجزة ، وقد رأينا نماذجه فى النبوءات .

وما ورد من علاماتها مما لم يقع فالإيمان به واجب ، والله أعلم بزمانه

وظروفه وكيفية وقوعه .

ولن تقوم الساعة حتى تستنفذ علاماتها وأشراطها التى وردت فى الكتاب والسنة ، وشىء ننبه إليه هو : أن لا يدفعنا واقع عصرنا إلى تأويل شىء من علامات الساعة التى لم تقع ؛ لأن واقع عصرنا وما فيه قد ينتهى بحرب ذرية تعود الإنسانية فيها إلى بدايتها الأولى ، ولا يبقى فيها إلا الجاهلون) اهـ .

قال العلامة الألبانى مفصلا ما يعنيه بمرحلتى «التصفية ، والتربية» :

(لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين : «التصفية ، والتربية» .

وأردت بالأول منهما أموراً :

الأول : تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها ، كالشرك ، وجحد الصفات الإلهية ، وتأويلها ، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها .

الثانى : تصفية الفقه الإسلامى من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة .

الثالث : تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المنكرة . . . . . وأما الواجب الآخر فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره ودون أى تأثر بالتربية الغربية الكافرة .

ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهوداً جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة ، التى يهمها حقاً إقامة المجتمع الإسلامى

المنشـود ، كل فى مـجاله واختـصـاصـه ، وأمـا بقـاؤنا راضين عن أوضـاعنا متفـاخرين بكثرة عـددنا، متوكلين على فضل ربنا أو خـروج المهدى ونزول عيسى صائحين بأن الإسلام دستورنا ، جازمين بأنا سنقيم دولتنا فذلك محال بل وضلال لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معاً ، قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يـغيروا ما بأنفسهم ﴾ وقـال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقـر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» .

من أجل ذلك قال أحد العلماء الإسلاميين اليوم : (أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم لكم فى أرضكم) وهذا كلام جميل جداً ، ولكن أجمل منه : العمل به : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾) اهـ .

وقال – حفظه الله – فى موضع آخر فى رده على من قال إن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدى :

(واعلم يا أخى المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب فى هذا الموضـوع ، فـمنهم من استقر فى نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدى ! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان فى قلوب كثيـر من العامـة ، وبخاصـة الصوفيـة منهم ، وليس فى شىء من أحاديث المهـدى ما يشعر بذلك مطلقاً ، بل هى كلها لا تخرج عن أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشر المسلمين برجل من أهل بيتـه ، ووصـفه بصفـات أبرزها : أنه يحكم بالإسلام ، وينشر العدل بين الأنام، فهو فى الحقيقة من المجددين الذين يبعثـهم الله فى رأس كل مـائة سنة كـمـا صح عنه صلى الله عليـه وعلى آله وسلم، فكمـا أن ذلك لا يَستلزم ترك السـعى وراء طلب العلم والعـمل به

لتجديد الدين ، فكذلك خروج المهدى لا يستلزم التواكل عليه ، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله فى الأرض ، بل العكس هو الصواب ، فإن المهدى لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى ظل ثلاثة وعشرين عاماً ، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام ، وإقامة دولته ، فماذا عسى أن يفعل المهدى لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً ، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوساً ! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ، ويجمعهم فى صف واحد ، وتحت راية واحدة، وهذا - بلا شك - يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به ، فالشرع والعقل معاً يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين ، حتى إذا خرج المهدى ، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر ، وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم ، والله يقول : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾]اهـ .

ويخرج فى زمن المهدى الدجال الأكبر وهو أكبر وأشر فتنة على وجه الأرض

قال ابن كثير فى الدجال :

هو رجل من بنى آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس فى آخر الزمان : ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾ .

وقد روى الحافظ أحمد بن على الأبار فى تاريخه من طريق مجالد عن الشعبى أنه قال كنية الدجال أبو يوسف .

وقد روى عمر بن الخطاب جابر بن عبد الله وغيرهم من الصحابة وغيرهم كما تقدم أنه ابن صياد

وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أبى يزيد عن

عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ :

« يمكث أبو الدجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما غلام ثم يولد لهما بعد الثلاثين غلام أعور اضر شيء وأقله نفعاً تنام عيناه ولا ينام قلبه» .

ثم نعت أبويه فقال: « أبوه رجل مضطرب اللحم طويل الأنف كأن أنفه منقار وأمه امرأة عظيمة الثديين» .

ثم بلغنا أن مولوداً من اليهود ولد بالمدينة قال فانطلقت والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فوجدنا فيهما نعت رسول الله ﷺ وإذا هو منجدل فى الشم فى قطيفة يهمهم فسألنا أبويه فقالا مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله نفعاً فلما خرجنا مررنا به فقال :

عرفت ما كنتما فيه : قلنا وسمعت ؟ قال : نعم : إنه تنام عيناى ولا ينام قلبى . فإذا هو ابن صياد .

وأخرجه الترمذى من حديث حماد بن سلمة وقال حسن: قلت بل منكر جداً والله أعلم .

وقد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله ويقال صاف وقد جاء هذا وهذا وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمى لما أسلم بابن عبد الله وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين .

وروى عنه مالك وغيره وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته وأما الدجال الأكبر فهو المذكور فى حديث فاطمة بنت قيس الذى روته عن رسول الله ﷺ عن تميم الدارى وفيه قصة الجساسة ثم يؤذن له فى الخروج فى آخر الزمان بعد فتح المسلمين مدينة الروم المسماة بقسطنطينية فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة منها يقال لها اليهودية وينصره من

أهلها سبعون ألف يهودى عليهم الأسلحة والتيجان وهى الطيالسة الخضراء وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار وخلق من أهل خراسان فيظهر أولا فى صور ملك من الملوك الجبابرة ثم يدعى النبوة ثم يدعى الربوبية فيتبعه على ذلك الجهلة من بنى آدم والطغام من الرعاع والعوام ، ويخالفه ويرد عليه من هدى الله من عباده الصالحين وحزب الله المتقين ، يأخذ البلاد بلداً بلداً وحصناً حصناً وإقليماً إقليماً وكورة كورة ، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه نخيله ورجله غير مكة والمدينة ، ومدة مقامه فى الأرض أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيام الناس : هذه ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف شهر ، وقد خلق الله تعالى على يديه خوارق كثيرة يضل بها من يشاء من خلقه ويثبت معها المؤمنون فيزدادون بها إيماناً مع إيمانهم، وهدى إلى هداهم ويكون نزول عيسى ابن مريم مسيح الهدى فى أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة ، على المنارة الشرقية بدمشق فيجتمع عليه المؤمنون ويلتف به عباد الله المتقون ، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم قاصداً نحو الدجال ، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركهم عند عقبة أفيق فيهزم منه الدجال فيلحقه عند مدينة باب لد ، فيقتله بحربته وهو داخل إليها ويقول : إن لى فيك ضربة لن تفوتنى ، وإذا واجهه الدجال يذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لد ، فتكون وفاته هناك لعنه الله كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه كما تقدم وكما سيأتى .

وقد قال الترمذى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عمر بن شهاب أنه سمع عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة الأنصارى يحدث عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارى من بنى عمرو بن عوف سمعت عمى مجمع بن جارية يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يقتل ابن مريم الدجال بباب لد** » .

وصية من رسول الله لمن لقى عيسى عليه السلام

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢ / ٢٩٨) :

حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «إني لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى بن مريم عليه السلام فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام» .

هذا آخر مايسره الله عز وجل

محمد سعيد

الفهرس

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر